

زهراء العسماوي

قُلْ ذَلِكَ فِي

رسالة

"تسع عشر رسالة بعضها ملقى في صندوق البريد ،
و بعضها قيد الارسال "

فهرس المحتويات

- ١- الى الوطن لا اعتذر ٨
- ٢- انا رادوه إليك ١٠
- ٣- ظننتك ١٣
- ٤- لمغترية ١٦
- ٥- لزهرة المدائن ١٩
- ٦- حيث لا عيد ٢٢
- ٧- في ختام يوم ميلادها ٢٧
- ٨- تهنئة اخرى ٢٩
- ٩- ما قالتها عاشقة لصديقتها ٣١
- ١٠- عودتني ان تضحك على عذابي ٣٤
- ١١- لمن لا اعتاد غيرهم ٣٧
- ١٢- دون لفظ قرابة ٣٩
- ١٣- اسمحي لي ان اعرف الحب ٤٢
- ١٤- رسالة لنائم ٤٨
- ١٥- طريق الجنة ٥٠
- ١٦- سيدي ساعي البريد ٥٥
- ١٧- قد تقطف الازهار ٥٧
- ١٨- انا لا ادل الى الطريق دليلا ... ٦١
- ١٩- تذمر لا يغني عن جوع ٦٣

~

لأجنحتي التي تُولد في العزلة ، و تنكمشُ في الزحام ،
لصوتي الصداحُ في غرفتي ، المروضُ خارجها .
لنفسِي هذه التجربة .

الآن اعرف مأزق الكلمات

اعرف ورطة اللغة المحالة

وانا اللذي اخترع الرسائل

لستُ ادري كيف ابتدء الرسالة .

"نزار قباني"

مقدمة :

"بلا مبرر اقفُ امام المرآة اتقمصُ الشخصيات واحدة تلو
الاخرى ، و اقول على الستهم ما يودون ، اكتبُ كي تولدُ
الشخصيات من رحم مخيلتي ، اكتبهم كي يكتبوني بدورهم في
ما بعد ."

الى الوطن لا اعتذر .

إليك لا اعتذرُ ، فأنت لم تعلمني ان اعتذر .

لكني اقفُ ذليلاً فقط ، فأنا المتمردُ اللذي خرج من تحت

اجنحتك

انا ذاك الذي كان دائماً ما يشتمُ الساعة التي انزلت فيها من

رحم امه على صدر هذا الوطن ، ولم يرفأ يحصي عيوبه ، يلعنُ

سماؤه ، يبصقُ فوق ترابه ، ويرجو لو انه خلق من طينة لا

تمسُ لطينته بصلة ، قال بأنه لا يتحملُ الغرق في بحر الخرافات

و الاساطير على ارضه ، لذا سيلجأ نحو الغرب ، و عندما لجأ

، كان كالسمك اذا ما انتزع من فم البحر ، يتلوى شوقاً في

الهواء ، يحتضر ثم انه مات ، مات شوقاً لأنه لم يعد يغرق .

فاليوم قد تعلمتُ يا وطني ان اخرج لأقول لصفعات شمسك
الحارقة "صباح الخير" .

اليومُ أمنتُ ان كعك الغُربة مرُّ جداً ، وفتاتُ خبزُ الوطنِ
طريُّ يبعثُ الروحُ في جسد الموتى .

اليومُ أمنتُ بان التربة السمراء القاسيةُ انعمُ من حرير الغُربة و
اللقمةُ التي تدسها شقوق كف امي تشبيني اكثر من مائدةٍ
فارهة على طاولة الغربة .

انا رادوه اليك

من خلف أضلعُ القضبَانُ ، مع رنة خلخال الأصفادِ ونباح
السجانُ .

اكتب الى رائحةُ "الحنة" في راحتي امي ، الى الكحل اللذي
ترقق مع دموعُ فراقنا ، رغم اشتياقي .. انا سعيد !

استيقظتُ صباحاً و انا اشعرُ بالأمل ، يتدفقُ في عروقي بشكل
مُرعب ، لكزنتي الشمسُ بأشعتها ، و استدار النور حول
جسدي المُرهب .

انا لستُ وحدي ، الله ارسل الي الشمس كي تمدد دفئها على
ارتعاشي تحت البلاط البارد .

حتى الأعمال الشاقة التي وجب ان تكبدها كل اسبوع ،
الغيث بالأمس نتيجة المطر ، الله ارسل الي المطر .

وحدك تعلمين بأنني اواجهُ فوييا عظيمة من الفئران ، البارحة
عقدُ السجانُ معصمي بحبلٍ قاسٍ ، شعرتُ انه قد فتت
عضامي ، لكن الفأرة الكائنُ الذي لا اطيعُ ، قد دارَ باسنانه
على الحبال فحلها . الله ارسل لي الفأرُ ايضاً .

كُل الاشياء هنا لم تثنيني عن السبب اللذي حشرت فيه في
انف هذا السجن الضيق ، كل العذابات التي واجهتها
وجدتني اخرج منها كما تخرجُ الشعرةُ من العجين .

"لئن شكرتم لأزيدنكم . " هكذا قال ..

صليتُ لله كثيراً ، الصقتُ رأسي بالأرضِ ساجداً ، حدثتُ الله
كم اني احبهُ و بأنني اشكرهُ كثيراً .. شكرتُ الله لأنه ارسل

الشمسُ و المطرُ و الفأرة ، شكرتُه ليزيدني و يرسلِك لي هذه
المرة الي .

لا تقلقي يا أمي ، و "ل تخافي و لا تخزني انا رادوه إليك "

ابنكُ اللذي لم تروضهُ القضبان .

ظننتك .

لمن زاحمني رحم أمي .

،

عندما يحين دوري في سجل عزرائيل ، و يمر كي يجتز روحِي
من بدني ، عندما اسدل قدماي ، و امدد قفائي على ظهرِ
المعتسل ، و يكون جهز كافوري و اسبلو الماء فوق اجزائي
الميتة ، و تقربُ أنت و تقبل ما بين عيني هاتين ، و تنحدر من
عينك دموع تمسح داكن اللون ، و يضج الناس متأثرين
بالأخوان الذان فرق بينهما الموت ، دُون ان يعلمو ان الموت
رحم احدهم من بطش الآخر ، اتمنى لو كان بإمكانِي ان انسى
كيف تسببت في الحادث الذي اودى بحياهِ أمي ، و شل

جسدي فبقيتُ وحيداً .. عليلاً .. عاجزاً .. ومقعداً تحت
جناح رحمتك .

تحييني بالطعام متى ما شئت ، و ترفعه متى ما شئت ،
حاربتني في ارثي .. فعجزتُ ان اتم دراستي من دون المال ،
اقفلتُ علي النوافذُ و وقفتُ حاجزاً في ان تتأرجح اشعه
الشمسِ الى خشبِ الغرفة القديم ، كُنت اصرخُ و اصرخُ في
كبد الليل من شدة الألم ، و من تعلقِ كاحلي باحدى اعمدة
السرير ، و البابُ مقفل ، و الكرسيُّ بعيدٌ جداً ..

حتى عندما افتش عن ضحكةٍ في وجه الأطفال ، كنتُ تسرقُ
أطفالك من حضني ، و تعاقبهم ان حدثني احدهم ، انا لا
اجدُ مبرراً لحبسك اياي في قفصك ، فإن كنتُ مضيقاً عليك

الحناق فحللاً عليك ارثي ، دعني اتنفسُ الهواء من خلف

الباب ..

لماذا وقفتُ عظماً في حنجرتي حين نويتُ ان ادسُ خاتماً في
اصبع تلك التي انتظرتني كثيراً ، لماذا اقنعت والدها العجوزُ
بأنني اشكو من امراض نفسية و لا طاقة لي على ان اتكبد
المسؤولية ، لماذا حشوت رأسه بالترهات ؟

عندما رأيتني مقعداً عاجزاً ابعدتني عن الدنيا كلها خوفاً من
ان يساعدي احد ، و نسيت ان الله لا يحجبه بابٌ و لا ستار ..
فالقوه كلها كانت معي .

منذ وفاه امي و انا أتأمل الخير منك و لكن .. دعني أقول ما
قاله نابليون بونابيرت لأخيه حين تخلى عنه في شدته

" ظننتك كأخ الحسين "

مُغْتَرِبَةٌ ..

انا لا أطيق هذه المسافة التي تسلب من فرحتي كل عيد ، لا
اطيقُ بعدكِ اللئيمُ هذا ، للبعيده جداً ، القريبةُ في يسارِ صدري
، اتمنى ان تكسرِ الاقدارِ اغلالِ الغربةِ و تعودينِ الى حِضنِ
الوطنِ ، ان نتشاركِ مره اخرى فراشاً واحداً ، استيقظُ غاضبة
لأنكِ ابيتِ ان تغطُ جفونكِ دون ان اصلي ، احبكِ حقاً ، و
اشتاقُ لكِ كل يومٍ .

في هذا العام، قضمت المسافة من العيد العناق، جعلته عيداً
لا يحمل في طياته الا الرسائل، في هذا العام سرقت المسافة منا
القبلات و جعلتها رموزاً لا تصل كما نريدها ان تصل، لن
نراحمك لنطفاً الشمعة، و لن نبصم بحبر الكعك على وجنتك
بصمة العهد بأن نبقى سوياً كل عيد، و على طرف هذا العيد
البعيد، اتممتي عامك التاسع عشر، أطفأت شموعه و انت
بعيده لا تلتقطين الا اصواتنا من على حافة الهاتف، لا أعرف
ان اذ كان علي ان اعيدك بالاهازيج او اعيدك بدموع الحنين
التي كللت وجنتاي، حبيبي، كل عام و انتي لمن وتد حبك
في قلبي اقرب، كل عام و انتي النور التي تفتقده جمعتنا، و
اعرف جداً بأن هذه الايام و لو انها تسير مسار الناقة الا انها
ستمضي، ستنتهي، و ستعودين لنتشي بك بعيدك أولاً و فخراً
بك ثانياً، لن اقول أحبك، فان الحب شيئاً لا يفسره الكلام، و

لكن الايام ستثبتُ لكِ بأن المسافة ليست عقبة امام اللقاء
فحتى الموت لن يقفَ في طريق لقائنا

الى زهرة المدائن .

رسالة اعتذار ،

لزهرة المدائن المبتورة ، لعروسِ العربِ المغدورة ،

لمدينةُ السلامِ التي خرجتُ من رحمها ديانات السماء ، اولادها

الذي كلمتهم بصوتِ موسى ، و غسلتهم بروحِ عيسى ، و

ختمتُ على جبينهمُ الأخاءِ بكفِ مُحَمَّد ، فمرتُ السنينُ و باذُ

السلام .

و بقيِ اناسٌ ينعون قبلتهم ، و اناسٌ ينبشون عن قبر المسيح ،

و اناسٌ متعلقين بجدارِ سُليمان . كُل يصيح تلك أُمي .

و امهم متعبَةٌ مكسورةٌ فرحمها مُزق مرتين .

لو كان لي يا قدسُ ان امسح الدموع عن قبتك الحزينة ، لو كان

ذلك في يدي ، لو كان لي ان اهشم الاغلال و احرق الحمايم

الكسيرة ، و اشدب اطراف البؤس الاخيرة ، لو استطع ان

اغسل بحر الدماء بكوثرٍ كي لا يظماً الفقراء ، و افتح

الساحات و المناير ليغرد الشعراء ، عن السلام و السرور ، عن

الموسيقى و الطيور ، و مجيء الحب و رحيل الشرور ، لو كان

لي ان اطوف في البيوت و املاً الفراغ في البطون ، و ارحم

التعفف في الأكف المصون ، لو كان في جعبتي ان انثر البذور

و اشرع ذراعاي للمطر ، ليعث الحياة في الوديان و الشجر ،

و ان اعيد الأغصان الى الاشجار الثكالى ، و تزهر الورود التي

داستها حوافر الفيلة

و اعزفُ للسنابل الذهبية من اعذب الألحان ، فتمايلُ طرباً مع
مرور نسيمها الرنان ، لو ارجعُ حلم الصبية في اصبعها المبتور
، و بستان زفافها الفُ جذعها المكسور و اجرْدُ فارسها
الوسيمُ من كفته .

لو كان لي ان اكس الدمار ، و ازرعُ الأشجار .. لتُنع الثمار ،
و امسحُ الدموع من فوق اسطح الحدود ، و انبثُ في مكان كُل
خندقٍ ملايينُ الورود ، لو كان لي ان اشعل النور في الظلام
ليتهادى شيئاً .. فشيئاً ليبدد عتمة الحرب .

لو كان لي يا قدس .. يا امنا الحنون .

حيثُ لا عيد .

العيدُ كلهُ كانُ سيحطُ على ذراعي ، لو كُنا قريينَ فقط ، انا
اشعرُ بالعيد حين تعانقُ عيني عينيكَ ، حينَ تغمرني بحديثك ،
انا لا اشعر بالعيد هذا لأنه ينقصك ، اقفُ من بعيد ، و احبسُ
تهنئتي خلف اضلعي ، و أنتِ اولُ من اردتُ ان اهتئهُ ..
افتقدك جدا .

افتقدُ ايماننا سوياً ، محاولاتك في خلق احاديث ساذجة ، افتقدُ
صوتك .. لكنتك .. و شمسُ ابتسامتك التي تتورأى خلف

غيوم الخجل ، افتقدك و لا طاقة لي على تحمل قسوه الفراق
المفاجى هذا ..

فهذه رسالة احبسها خلف قضبان اضلعي ، كتبتها إليك و
حرمتها على عينيك ، رسالة أقول فيها ما لا استطيع ان اقول
اذا مررت بجاني ،

ما لا ابعثه لك عندما يبعث فيني الشوق ناراً لا تخمدها الا
الرسائل . الرسائل التي تكتب لمن لا يقرأ ، فمن الصعب
جداً ان اقول بأني مهتم بك ..

و بأن تشابه الأسماء لا يمر مرور الكرام ، هكذا كانت تلمع
الصبغة الحمراء في سماء وجهي حين تنادي اما طفلها الذي
يحمل الاسم ذاته ، هكذا فجاء منذ عرفتك بدأت الحظ تكرار
الاسم اللذي يسمح لعيناى ان تبرقان عندما نمر امام مسجد

او سوق او حتى سيارة مُواصلات ، فجأه اصبحت اسمك
العلامة التجارية لجميع الأماكن و المؤسسات ، أكان موجوداً
سابقاً او تُراني الحظ وفرته للتو ؟

فجأه و هكذا دون مبرر .. احببت ذوقك في الملابس ،
احرص ان ابتاع للأطفال في منزلنا الملابس ذاتها ، اشعر و
كأنني اخلقت منك نسخاً كثيرة تتمحور حولي ، شغفت فجأه
بكل الأشياء المولع انت بها ، القبعات ، الأحذية الرياضية ،
فريق كرة القدم ، طريقتك في مناداة أصدقائك ، القهوة
..حتى السجائر التي اتوجس كثيراً في ان تسرقك مني ..

كل الأشياء التي امارسها احرص ان تربع أنت فوق ربوة
سطورها ، ان تحتلس النظر خلف قصائدي ، ان تأخذ هيئات
الشخص في لوحاتي ، و كمنسوسة أقف امام المرآه أحدثك

ثم انتحلُّك و اجيبُ حديثي بالطريقة التي احلمُ كثيراً في ان
تحدثني بها ، قررتُ فجأهً ان اعتزل الجميع من حولي ، و انتهزُ
كُل الأدوات حو لي لأمارسك .

فيالعزاء قلبي و هو يتقلبُ و حيداً في اطرافِ الليل ، ينتظرُ ان
تباغتهُ رسالة حنينٍ ترشُ الماء على اوهامه فتصبحُ حقيقة ، الا
انه يسير كما سارت ما سبقتهُ من الليالي ، باردُ جافٌ قاحلٌ من
كلامك ، انا و حدي الذي اعياني الشوقُ إليك ، انا و حدي
التي تمارسُ حماقة الانتظار ، انا و حدي التي لا تفعل شيئاً الا
شقاؤها .

انت الذي حاربني عليك الزمانُ و الوقتُ و الظروف و الحياء
و كل شيء ، فأنا حتى هذه الساعة أجهل لماذا تحقدُ علي

عقاربُ الساعة حين نكون معاً ، تعدُّو سريعاً ، اسرُعْ من
حافلة بددت احلام ام بطفلها .

في ختام يوم ميلادها .

لا أعرفُ لماذا نتوقف عن نسج الرسائل ، رغم انها عادةً تسمحُ للربيع
ان يتمدد بين صدورنا دُونَ ان نشعر . هذه رسالتي اليك في ميلادك
العشرون . وددتُ لو اشرعُ ابواب الماضي ، لنغفو كسابق عهدنا على
وسادة واحدة تحتضنُ صفائرتنا الصغيرة ، نحشرُ جسدنا تحت الغطاء
ذاته ، نغمرُ اطراف الليل بضحكاتٍ خفية كي لا يطالنا توبيخٌ من احد
، نعزفُ اغانينا باصوات شجية على السلام وفي زوايا البيت الذي
تحمل كل زاوية منه اعذب ذكرى ، نعودُ نقرصُ امام الفطور ،
بملايس النوم الملونة ، بشعورنا المبعثرة ، امام الشاشة التلفاز نحفظُ
البرامج الواحد تلو الاخر ، لاشيء كان قادر على اطفاء صدى

ضحكاتنا ، الدفاتر الي ملأتها شخباطتنا ، كبرتُ معكِ رغم اننا لم
نُخلق في رحم واحد ، اخطئنا معاً ، ورحنا نصلحُ اخطائنا معاً ،
نحفظُ في صدورنا اسراراً لا تقربُ منها حتى اذانُ الهواء ، القلبُ
الذي يُخبئني دُون ان يرجو مصلحةً او مادة ! ، اتمنى ان نشيخ سوياً ،
ان تبقى ضحكاتنا تترددُ حتى اخر رمق في حياه احدنا .. أحبك جداً ،
و انتي تيقنين ان الحُب ليس محظ كلامٍ يقال . أحبك قولاً و فعلاً .
اتمنى ان يَكُون هذا العام اجمل من كُل عام مضى ، ان يتكلم بتحقيق
امانيك التي لم تتحقق في ما مضى .. و اشاطركِ فرح تحقيقها ، اتمنى ان
نملاً هذا العام بالذكريات التي نعودُ نحصيها في العام المُقبل . اختي
التي لم تزاخمني الرحم ذاته ، لكن عينيها زاحمتُ حزني فأزهر كل عام
و انتي الي اقربُ ، كُل عام و انتي لمن بعث هذا الحُب في قلوبنا اقرب
قارب يومكِ على ان يوصد ابوابه ، و ابواب قربك لن توصل ابدا .
اختكِ الاصغر .

تهنئة اخرى

و قبل ان يسدل ستار هذا اليوم ؛ أحبت ان ادسُ لك رسالة ، تستوطن
ذاكرتكِ مهما مضت الايام ، كما استطوتني انتي اجمل ايام حياتي
السابقة ، و لأنك الغيمة التي امطرت علي دون ان تنتظر مني ان اثني
على غيثها ، و لأنك النور الذي تهادى ليبدد ظلمة الضيق في نفسي
دون ان يطلب قرشاً ازاء عدم انطفائه طوال هذه المسافة ، و لأنك
الورد الذي ملأ الكون شذاه دون ان يسأل الكون بأن يرد له الجميل
، لأنك صاحبه الست السنين المزهرة ، أحبت ان اهنأ نفسي في هذا
اليوم ان اتمته معك ، أسأل المولى ان نبقى سوياً مهما اشتدت الشدائد
و كثرت المشاغل و باعدت بنا المسافات ، ان تبقى قلوبنا تشعر ببعضها
و لو بعد حين ان تذكريني ان وقفت للصلاه ، و تشريني معك بين

همسات الدعاء ، ان تبقين كما عهدتك الموطن الذي اللوذ به كل ما
اغلقت ابواب هذه الدنيا في وجهي و عكازي اللذي أتكأ عليه كلما
عصفت بي الريح لأسقط ، ايقن جيداً بأني لن اسقط و انتي معي ،
ايقن جيداً بأني لن احزن و انا اجد في حديثك تبتسم بساتين الفرح
، كل عام و انتي بخير ، كل عام و انتي لله اقرب .

ما قالتُ عاشقةٌ لصديقتها .

بعيداً عن السلامِ انا اموتُ فانقذيني ، الحُبُّ اللذي حذرتني
منهُ هاجمني الاسبوعُ الماضي و منذُ ذلك الوقتُ انا ارتجفُ مرعوبةً ،
اضحكُ وحدي و اتصرفُ بطريقة لا ادركها . لا تكتبي لي عتاباً
كعادتكِ فأنا ممسكةٌ بزمامِ نفسي كما عودتني ، لم اقل لهُ شيئاً عن
الشيء المتحركُ في يسارِ صدري و لم اكتبُ له كما اكتبُ اليكِ الآن ،
جلي ما فعلتهُ بأنه بين ما كان يرتشفُ القهوة ، كنت ارتشفُ من
ملاحه ، نظراتُ شاردة ، و ضحكاتُ لا مسببُ لها ، و رمشٌ يحمي
فلقة القمرِ في جوفِ عينيه ، و غيمٌ تمددُ على ربوه خديه ، و خيوط
معقودةٌ في ساعديه .

كانَ يحدِّقُ إلي بطريقَةٍ لا ارفأ اذكرها ، طريقَة اربكتني جداً ، شعرتُ بأن
توازنَ الكونِ كله اختل تحت قدمي ، فالنظرةُ التي باغتني فيها هذا
اليومُ قضمتُ جزءاً من قلبي ، انا لا ازال افتقده .

رقيقٌ وجهه كالغيم ، لكن عيناه كانت تخدشني في كل مرة تنظرُ تجاهي .

و عندما ارسل لي طلباً في ليلة ما لأسمِ كتابٍ كنتُ اقرأه ، تحدثنا مطولاً

، تمنيتُ لو ان الدقائق في حطرته تغدو سنيناً ، ان لا يعقُب الكلام

نقطة النهاية فلا شيء يشبه الجمال الذي يُعزف في ضحكته ، و ذاك

انشراح صدري العظيم لمجرد انشراح شفثيه قليلاً . لو كان بيدي ان

استنسخ الليلة تلك ، ان ارغم عقارب الساعة للعودة للوراء ، ليعود

هناك حجة مقنعة ترغمننا على البقاء سويًا ! انا حاوية الآن الا من

ابتسامات تفتعلها الذكرى ، و حسراتٍ ترجو من الزمن ان يتراجع

قليلاً .

اتظنين بأنه لاحظ شيئاً فقد كنتُ خائفةً ، خائفةً جداً من ان ينقطع الحبلُ
بعد ان كاد الدلو يصلُ الى النهاية .

ثم انه حدث !

انقطع .

عودتني ان تضحك على عذابي

لمن قالو بأنه طيرٌ في الجنة ،

لو ارفعُ يدي الى السماء و اقطفُ نجمةً ، اعرفُ انها لن تبددُ العتمةَ في
وكري اللذي لا تبصقُ الشمسُ عليه ، يُقولون بأن الارحامُ تكُونُ
مظلمةً كهذا الظلامُ المحيطُ بي تماماً ، و لكن انا اعرفُ بأنك كنتَ
هلالاً تبرقُ في عتمتهُ ، تركلُ بقدماك الصغيرةُ الظلامُ ليغادرني .

هكذا مزقتُ احشائي و جئتُ ، و فتحتُ مغارتك السوداء في عيني ثم
مررتها على الناس ممتصاً وجوههم واحداً واحداً . بعضهم يقول

بأنك تشبهُ اباك .. اخر يقول بأن لك انف اختك .. و انت لا شيء
لك الا ملامح الاطفال المنسوخة في يومهم الاول .

احدق في وجهك الصغير كل يوم ، و انت ترفعُ يداك في السماء و كأنك
تبيتُ النية للعودة إليها ، زحفتُ ثم حبوتُ ثم رفعتُ غصنك
الصغير لتخطو خطواتك الاولى فتكسرُ التحفة باهضةُ الثمن ، و
تمزقُ ستائر الدانتيل البيضاء ، و تسكبُ الحليب على دفترِ اختك ،
تجعلني اهرعُ كالمجنونة في كل انحاء البيت ابحثُ عنك ، اكنسُ
ورقة مزقتها ، لأكتشف بأنك تتعلقُ بقبضان السلم فأتركُ المكنسة و
اركضُ .. و اما عنك فتضحك .. عندما اصل اليك و اختطفك من
ذراع الموت المحيطُ بك كنت تكشفُ عن سنينك الصغيرين و
تضحك .. تضحكُ على عذابي .

فحتى في اليوم الذي كنت ممداً فيه امامي ، وانا ارفعُ الخرقه البيضاء عن
وجهك الاصفراً و انت مغمضٌ عينيكُ الاغماضُ اللذي لا يعقبهُ
فتح ابدأ .. كنت ترسمُ على قسماتك تقويسة الضحك تلك .. و انا
اقفُ لأطلقُ الاهازيج و الدموعُ و ارحبُ بعذاب فراقك ..
هكذا عودتني ان تضحك على عذابي .

لمن لا اعتاد غيرهم

اذِ كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ يَدْفَعُنِي لِأَحْتَفِي بِعَامٍ جَدِيدٍ فَهُوَ بِأَنِي أَتَمَمْتُ بِكُمْ
سَبْعَ سِنِينَ مَعْطَاهُ ، تَحْمُلُ فِي طِيَاهِ ذَاكِرَتِي كُلَّ ضَحْكَةٍ عَزَفْنَاهَا فِي وَقْتٍ
وَاحِدٍ ، وَكُلَّ قِصَّةٍ سَرَدْنَاهَا لِنَلْتَهُمْ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ سَوِيًّا ، لِكُلِّ مَرَّةٍ
أَنْتَابَنِي فِيهَا مِنَ الْوَهْنِ شَيْئًا أَوْ ثَقُبْتُ بِأَبْرَةِ الْأَلْمِ رَأَيْتُ خَيْطَ الْوَدِّ بِأَيْدِيكُمْ
يُحِيكَ لِي الْفَرْحَ مِنْ جَدِيدٍ ، لِكُلِّ الظَّلَامِ الَّذِي بَدَدْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَضْحَكُونَ
فِي وَاجِهَتِي كُلِّ صَبَاحٍ ، لِحَقَائِبِكُمْ ، وَكُتُبِكُمْ الْمَغْمُورَةَ بِأَحْرَفِ اسْمِي ،
وَ نَوَاتٍ الْمَوْسِيقَى الْمُطْلِيَّةَ بِالْأَسْوَدِ .

اعرفُ بأننا لم نعتد ان لا نلتقي كل يوم ، لا ادسُ حلوى او اوراقاً اكتبها
في حقائبكم ، لا انتظرُ طويلاً لكي نخرجُ سوياً لا ابللُكم بابيات
العتاب اذا تأخرتهم ، لا نصعدُ السور اللذي استولى على شريط من
الذكريات ، كلها تلاشتُ من الحدث و بقيتُ في داخلي ، الاشخاصُ
الذين اللقيتهمُ ليسو سيئين ابداً ، لكني لا استطيعُ ان اعتاد غيركم
، كنتمُ وطن و سقفُ استظل به عن لسعات الصيف او غضب
الشتاء ، لذا دعوني ابداً عاماً جديكم بكم و اياكم ، دعني أقول بأن
المسافات لن تُغير الود بيننا ، لن تمحي اثار شخبطاتي في كل زاوية
من زواياكم ، سأبقى بكمُ كل عام ، كل عامُ و نحنُ رغم البعد
قريين جداً .

دُون لفظِ قرابة

إليكِ دُون لفظٍ للقرابة.

انا لا ارى ما اكتب ، و قد لا ترينه بدورك ، فالخبر حين ابكي
يبكي معي و تسيل الحروف من محاجرهِ على الورق. كُل شيء
يبكي معي الا انتِ لم تبكي و لن تبكي و لو بكيت ، هيهات
أعذرها الدموع.

فدموعكِ لنْ ترجعْ عمري اللذي انسقتُ فيه الى الخيال بأنْ
تكوني واقعاً ، لكنكِ رغم واقعك ، اصرיתי على الموت.
طوال الاربع عشر سنة التي مضتْ من عمري ، في كُل ليلة

تطرق عقلي افكاراً لا احصيها.

اتخيل يوماً اسوداً و غابراً ، تستترين فيه بظلامه ، و تلتحفين
بسواده ، تحمليني مرثيةً مللت الاستماع لبكائها ، و تصيبيني في
اذان القمامة ، و تواسين نفسك بأن ذلك في صلاح لي و لك و
انتِ تعلمين !

ثم اعودُ اتخيلك امرأةً ندمت كثيراً ، طرقت ابواب دار اليتام ،
و سقطت على ركبتيها مائة ذراعيها نحوي ، تناديني و تتوسلُ
الي بالدموع ان اعذرها على جرعات الغياب التي القمتني اياها
في ما مضى ..

بعدها اتخيلُ بأنك تتعرفين علي في احد الشوارع المزدحمة ،
تعرفيني من شامتي الداكنة بين حاجبي الكثيرين ، تتخطين المارة
، و تراحمين الباعة ، حتى تصلين و ترفعين خصلاتي عن جبتي
للتأكدي من وجود شامةٍ اخرى في منبت رأسي ، ثم اشاهدُ
دموعك تتقلب فوق خديك و تحرقُ وجهك القاسي و انتِ

تعتذرينُ على الغياب.

عند بوابة المدرسة ، حين تركضُ كل الفتياتُ لتقفزُن داخل
عبئات امهاتهم ، و تختسلنُ القبلاّت من شفاههم الحانية ،
تمنيتُ لو تظهرين فجأه بينهم و تقولين لي بأنك تعبتِ من
البحث عني .

لكنك لا تفعلين .. لا تبكين .. و لا تندمين .. و لا تجيئين
حتى .

لا اعرفُ الى اين سأخذُ هذه الرسالة ، و كيف علي ان اخبر
ساعي البريد بأن هذه الرسالة الى امي التي أجهل اسمها او
استوطنتُ في أي بقعة من هذا العالم الكبير ؟ لا اعرفُ عنها
شيئاً سوى عينيها التي تبكي دائماً في احلامي .. في احلامي
فقط .

اسمحي لي ان اعرف الحُب

أكتب بقسوه الذنبِ الذي افقدني كُل شيء ، أتقياً الكلام من
صدري على وجه الورق ثم اعودُ ألقمه النار ، أتقياً الفراغ الذي تركتهُ
امي ، لأحشوه بالمُشكلات ، ويدي الذي افلتها ابي لتُصافح المدخنين و
السُّكاري و اللصوص ، و الحُضنُ الذي دُفن في جوف المقبرة ، لأبحثُ
فيما بعد عن حُضنٍ يمسدُ وحدتي ، اتقياً اصدقاء السوء ، الخذلان ، و
الحُب الذي لم يكتمل .

لستُ انكُرُ اخطائي ابدًا ، و لكنني لا اراهُ يضاهي بشاعة خطأكِ في
وضع نقطة على السطر اللذي لا زلتُ اكتب فيه ، لم يكن الأمر عادلاً ابدًا
ان تكسري فرحتي و انتي الوحيدة التي تعلمين مدى تعاسة ما عشته
سابقاً .. خطائي ليس مبرراً و لن يكون .

ان كنتُ مخطئاً في شيء ، فهو ذلك الشيء الذي أتحت له بأن
يتحرك في يسار صدري عندما مررتِ أول مرة ، كنتُ مخطئاً لأنني لم
اغضضُ بصري عن البريق في عينيكِ فسمحتُ لها بأن يعميني ، و لم ادس
جُل اصابعي في باطنِ اذني كي لا يمسها ايقاعُ ضحكتكِ فتوقف كل
الاصواتُ من حولي ، انا المعتوه الذي كنتُ بارعاً في تلفيق الأكاذيب ، و
تزوير الحقائق كشفتُ عن اسراري تحت رحمتكِ ، انا المتفوقُ في السرقة
عجزتُ ان اسرقكِ من رغبتكِ في الوقوفِ في المنتصف لأخبئكِ تحت
سريري كما افعل بالأشياء المسروقة عادةً . هذه كلها اخطاء ارتكبتها لم
تحاسبيني عليها .. هي لا تقلُ شأنًا عن العثرة التي تخالينها خطأ لا يغتفر .

أيقن بأني شخصٌ يجحدُ الاهتمامَ ، لكنني لم اعتاده ! عندما حلفتُ يميناً
لكِ يوماً بأني ساقلعُ عن التدخينَ ، و انا ميقنٌ بأني لا قدره لي على انقاص
سيجارة واحدة من عدد السجائر اللذي احرقُ به رئتاي كل يوم ، كنتُ
جاحداً امام سعادتك البريئة بالانتصار ، بعظمة الانجاز قلت لي منتشيةً
بأنك اصلحتِ شخصاً واحداً ، لن يصعب عليك اصلاح العالم كله ، الا
ان احلامك تكسرتُ عندما وجدتِ علبة شوكلاته في سيارتي ، اذكرُ
كيف سقط قلبي رعباً حين انتزعتها ، نبهتني بأن لهذه العلبة اسبوعاً في
السيارة قد تكون انتهت صلاحيتها او لم تعد صالحة للأكل ، حاولتُ
انتزاعها من يدك مرتبكاً قلتُ بأني اشترى واحدة كل يوم حينها باغتني
مستفسرةً منذ متى و انا مولع بالشوكلاته ؟ " منذ اسبوع " اذكر كيف
قلتها ضاحكاً .. فتصدعتُ ضحكتي حين استغفلت حيلتي سيجارة
فسقطتُ من قلبِ العلبة ! حينها رأيتُ انكسار انجازك الموهوم ، نزلتِ
سريعاً ، ضربتِ الباب بقوة ، و لم اركض خلفك

اعذريني فلقد عشتُ وحيداً ، وحيداً جداً ، لا احد ينتظرُ معي دقة الساعة الثانية عشر ليبدأ ميلادي ، لا احد يبدي اعجابه بالرُسوم الكثيرة التي نثرتها على اجزاء الغرفة فوق الدفاتر تحت الرفوف ، لا احد يقرأ قصائدي التي ابتلعها بعد كتابتها مباشرة ، امرُضُ فلا يعلمُ احد ، انجُحُ فلا يعلم احد ، اسقطُ فلا يعلم احدُ ، لا احد يعلم رغم اني احاول اخبارهم عندما دُونت المحكمة تاريخ ميلادي على ورقة انفصال والداي ، لم يعد احد منها يتذكر انه يوم ميلادي ، تعلمتُ حينها ان انسى كما يفعلان .

عندما جلست امي على ركبتيها قبل ان تخرج من بيت والدي وقالت بأنها ستعود لتراني بين الحينة و الاخرى .. ، تعلمتُ ان الامهات التي تقبُح اللجنة تحت اقدامهم يكذبون ايضاً ..

عندما قالتُ زوجة أبي بأني احصلُ على اكثر من حاجتي من المأل ، تعلمتُ
ان امُدُ يدي الى محفظة ابي .. الى حقيبتها لأحصل على الماء غيلاً .

عندما صفعني ابي و طردني من المنزل لأني الفاشل اللذي قد شوه اسمه
الرفيع استقبلني اصدقاء السوء في قعر ديارهم ، فأصبحتُ افوقهم
سوءاً .

لم أكن احبهم .. و لم يحبوني ابداً ، مارستُ العدوان تجاههم ، ضربتُ و
ضربتُ حتى اصبح جسدي ممزقاً ، و حياتي مبنية على الانتقام .
خدعتُ الكثير من الفتيات لأبتزهم .. مقابل مالٍ اشبع فيه شتات نفسي .
و لكن معك .. شعرتُ بالحب فجأةً .. لا تسنحي للماضي ان يحول بيننا

اسمحي لي ان اعرفُ الحب .

ارجوك تعالي الي و ابكي كما ابكي انا الآن ، الرجل الصلب

الذي انتقم من كل الاشياء التي آذته ، يقفُ مخذولاً امام

خُذ لانك

رسالة لنائم؛

بينما يحضى الفراش بعناق منك ، و تفرسُ الوسادة انفاسك ،
و يتمدد الغطاء على راحة صدرك ، هناك من يُصارعُ الليل ليستكين
من الوجع ، و يصارع النهار لينطفأ من فوق تل خديه أخاديدُ الدمع ،
هناك من يقضي جلي وقتهُ في تخيل رسالة منك تجيبُ فيها على كومة
الرسائل التي يبعثها لك يومياً ، ينتظر ان يطرق الباب فجأه و يولدُ
اللقاء صدفة ، ان تنزل من السقف، ان تخرج من قعر الارض، ليس
مهماً كيف و متى ، المهم ان تخرج ، و تسقطُ الاعين ببعضها ، تتلامسُ
الايدي سهواً ، أتعلمُ ما المضحكُ بأني ازدرقت ريقِي منذُ الآن و

احمرت وجتاي خجلاً و فكرتُ اذ كان لا بدُ ان أقبل اعتذاركَ بهائدة
من الكلام او اتركُ الامر لقلبي ان يُجرفكَ نحوه ، ليصبح قلبينا
متقاربن، يسمعان بعضهما جيداً ، فكرتُ كثيراً و كثيراً و كثيراً ، و
قطع تفكيري صوت الجدران اذ قهقهت على احلامي .

طريقُ الجنة

-هذه الرسالة لا تمت للمخيلة بصلة ، فقد عشتها بكل حذافيرها -

الى طريق الجنة ،

لا أرفأ اتذكر اول ليلة نزلتُ بها ارضك و قد لفتح و جهي
نسيمٌ عليلٌ انشرح له صدري و تفتحت له اساريري ، و راح المطرُ
يطرقُ على شبّاكي لأكتشف النزل من حولي . ليعثُ صوتاً في سمعي
بأن هذه الأرض لا يخبأ الناس فيها تحت سقفي ، و لا يأذنون لجدار
ان يحجبهم عنها .

في الصباح تجولتُ في شوارعك و انتابني شعور لا ادركه ،
احسستُ لوهلهِ بأني طائرٌ يفرُّدُ اجنحتهُ في السماء ، أي ارضٍ ؟ اي
شعبٍ ؟ اي سماءٍ تلكُ غمرتني بدفءٍ غريبٍ في لجة البردِ آنذاك .

كل خطوهٍ نخطوها إليك كُنت اشعر بأن جدوع الحُب تمزُقُ
الأرض و تنبتُ مزهرةً تحت قدمي ، هل هذا الطريقُ الى الجنة ؟
فعندما عانقتُ المنارةُ عنان السماء ، و رأيتُ الحمام ترفرفُ حولها
شعرتُ ان قدماي لا ترتفعانُ من على ذاك البلاط الطاهر ! انها هي !
ما لا عينُ رأت و لا اذنُ سمعتُ .

ولجتُ الباب و انا احدقُ مذهولة من بهاءٍ و جلاله ما ارى ،
حُفظتُ دعاءً ارتلتهُ قبل الدخول ، و ما ان لهج به لساني حتى شعرتُ
بها .. لم تستأذني تلك الدموع التي ترقرتُ فجأةً على ربوتي خدي ،
فعجبتُ لما جرى .

طوال تحركي في الممرات الداخلية إليك وانا لا قدرة لي على
ان ازوض نفسي او اضع حداً لسيلِ الدموع التي ترشهُ عيني و كأنها
تطهرني من الخطايا في كُلِّ عَضْوٍ ، فأنا اشعر بالراحة تسترل في كل
اعضائي ، و الرغبة لا تفارقني البقاء ، الا ان شوقاً اخرأ هزني
لأكتشف البقاع الاخرى في ارضك العظيمة ، قرأت بعد الصلاه في
احد الكتب ان من يدخل إليك و جب عليه ان يقرأ " أَدْخُلْ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؟ اَدْخُلْ يَا مَوْلَايَ ، اَدْخُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اَدْخُلْ يَا حُجَّةَ
اللَّهِ ، اَدْخُلْ يَا أَمِينَ اللَّهِ ، اَدْخُلْ يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ الْمُقِيمِينَ فِي هَذَا الشَّهَدِ ، يَا
مَوْلَايَ أَتَأْذُنُ لِي بِالدُّخُولِ أَفْضَلَ مَا أَذِنْتَ لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، فَإِنْ لَمْ
أَكُنْ لَهُ أَهْلًا فَأَنْتَ أَهْلٌ لِدَلِّكَ "

و ان سالت دموعك فقد أذن لك ، لم اعرف حينها ماذا افعل

لأحمد الله ، على تلك الدموع ، تلك الدموع التي تحمل لي لي صوت

الحسينُ راداً علي سلامي ، اي فخرٍ احمَلُ على كنتفاي ذاك ان اذن لي ان
اطأ ارضك الطاهرة .

و حينٌ وجب علي الرحيل ، مشيتُ و انا مدهوشة من الكمِ
المسمى بالفُقراء ، الممددِ عند ابوابك ! عن اي فقُر يا سيدي يتكلمون
؟ و هم يعيشون في حضرتك ؟ عن اي جُوع و هم يذوقون قُربك ؟
عن اي بردٍ و هم يلتحفون بصوتِ المراثي كُل ليلةٍ في حضرتك .
و قبل ان اخرج حسدتهم كثيراً .

حتى و انا اكتبُ يا سيدي يا حسينُ اليك رسالتي ، هوتُ
دموعي مرة اخرى ، انا ايقنُ ان دموعي هذه المرة قد سمعتُ نداءك ،
نحنُ على ابوابِ شهر الحزنُ عليك و انا اللذي ما استطعتُ عيناى

ألذُّ من البكاء عليك ، ارجوك ان تعيدني لأرضك ، و ان تتوفاني في
حضرتك .

فأنا رأيتُ اللجنة امام حدقتي هذه ، و حدقتي هذه ستعميها
الدموعُ ان لم تعود إليك .

زهراء .

سيدي ساعي البريد

مساء الخير سيدي ساعي البريد ،

في كل صباح تحملُ في كاهلك الآف الأصوات ، تجوب المنازل و
الازقة و الطُرق ، و تصبُها في الاف الأذان ، تدركُ كل الشخُوص
و كل الاحداث دُون ان تفتح الأظرف لتطلُ في تشكيلة حرفها ،
فقطُ من تهلُّ وجهه او شحوب اخر ، من ربكة يد و ثبات اخرى ،
اغلاقة الباب السريعه ، و الاغلاقة البطيئة التي ترجوك ان تقول
بأنك اعطيتها المرسال الخطأ !

و لكنْ أترأك تَحْمَلُ الرِّسَالِ إِلَى قُبُورِ الْمَوْتَى أَيْضًا؟ هَلْ تَنْبِشُ الْقَبْرَ ،
و هَلْ تَسْقِي قُبُورَهُمْ بِامْتِدَادِهَا تِ الشُّوقِ فِي رِسَائِلِنَا؟ هَلْ
تَجْرُدُهُمْ مِنْ أَكْفَانِهِمْ لِيَسْمَعُوا عِتَابَ الْوَالِدِ فِي كَلِمَاتِنَا؟ هَلْ تَهْزُهُمْ
لِيَصْحُو مِنْ سَكْرَتِهِم الطَّوِيلَةَ ، وَ تَنْبِتُ الْأَقْلَامَ بَيْنَ أَصَابِعِهِمْ لِيَكْتُبُوا
إِلَيْنَا لِمَاذَا هُمْ عَاكِفُونَ عَنَّا

العودة؟

إِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَأَنْتِ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، وَ إِنْ أَعْظَمُ الْمَهْنُ عَلَى مَدَارِ
الْكَوْنِ هِيَ مَهْنَةُ سَاعِ الْبَرِيدِ .

قد تقطفُ الأزهار

متى تعودين؟

فأنا وحيدٌ كنخلةٍ وحيدةٌ .

و انا غريبٌ كبلدةٍ بعيدة

و مُلتهبٌ كصفعةٍ شديدة .

و خشنٌ ، غليظٌ ، جافٌ

كامرء ما اقترب الماء

من وريده .

يا نجمة نورا ، يا قطرة الشهد

يا وردة الدنيا يا طائر السعد

يا غنوة نامت في منزل البعد

يا كل اشياي ، ما اصعب الفقد

مري هنا مري

في داخل الكتاب .

و اشربي حزني .

و سدي عليه الباب .

و اكفي الفؤاد بك

تحسراً و عذاباً .

يا جنح عصفور

انا هنا مكسور .

و الموتُ يا حلوةً

يا حظه مسرور .

و الدنيا في بعدك

تلفُ بي و تدور .

يا زهرتي التي قطفها الموتُ

قد تقطفُ الأزهار

وتخلدُ الجذور .

انا لا ادلُّ الى الطريق دليلاً .

(رسالةٌ كتبت بطبشورٍ ابيض على ابوابهم)

انا كلُّ يومٍ امرُّ على اعتباركم

و الى اللقاء ما استطعتُ سبيلاً .

فكوْ نوافذكم ، شرعوا ابوابكم

و هبوا فؤادي من الوصال قليلاً

و الله قد ادمى الفؤاد فراقكم

و القلبُ يلضي بالحنين فتياً

هذا انيني في مصاريع الدُجى

و هذا حنيني لا يقبلُ التأويلًا

جوذوا علي بوصلكم اخلتي

ان اشتياقي لا يحْمَلُ التَّأجِيلًا

كتتم عيوني ، و انطفأتهم فجأه

انا لا ادلُ الى الطريق دليلاً .

تذمر لا يسمن و لا يغني عن جوع

لم يرنو الي الحظُّ يا رباهُ

و كأنُّ لي حرباً انا اياهُ !

أسرقتُ يوماً يا الهي رغيفهُ؟

أبصقتُ يوماً في فضا محياهُ؟

أقتلتُ في المحراب يوماً امهُ؟

أو أسرتُ في سجنِي اخواهُ؟

أحفرْتُ في مسرى طريقه حفرةً؟

أبنيْتُ سداً في خفا ممشاهُ؟

أمزقتُهُ؟ أجرحتُهُ؟ حطمتُهُ؟

ماذا جنيتُ لكي ارى ويلاهُ؟

ليخافُ حظي ربهُ و ليتقي

مالي انا يا خالقي اياه؟

-

اما اللآن فهو دورك ،

اطلق سراح الاشياء في داخلك

قل ما شئت ، .. ولكن قل ذلك في رسالة

زهراء العسماوي .

-

ذلك الرجل استطاع اقتحام مملكتي على صهوة رسالة .

"غادة السمان"

عني :

زهراء العسماوي

مواليد ٩ يوليو ١٩٩٩

طالبة فنون و تصميم في جامعة البحرين .

Zasmawi999@gmail.com

بلا مُبرر ، اقفُ امامَ المرآةِ
اتقمصُ الشخصياتِ واحده
تلو الاخرى ، و أقولُ على
السنتم ما يودون ،
أكتبُ كي تولدُ الشخصياتِ
من رحمِ مخيلتي الى الواقع ،
اكتبهم كي يكتبوني بدورهم
فيما بعد .

تسع عشر رسالةً بعضها
ملقى في صندوق البريد ،
و بعضها على قيد الارسال .

زهراء العسماوي